



ISSN: 2074-9554 (Print)

Journal of Al-Frahedis Arts

available online at: <http://www.jaa.tu.edu.iq>

JOFA  
Journal  
of Al-Frahedis Arts

## Poem (old song) poet Badr Shaker Sayyab other reading

قصيدة (أغنية قديمة) للشاعر بدر شاكر السياب قراءة أخرى

Lec. Dr. Saad Abd Al-Latif Jadowa

Lec. Dr. Ayad Jawheer Abd Allah

م. د. سعد عبد اللطيف جدوع

م. د. إياد جواهر عبد الله

*E-mail: fara\_arts@ tu.edu.iq*

### Article info.

#### Article history:

-Received

-Accepted

#### Keywords:

- Old Song

- Badr Shaker Sayyab

**Abstract:** It came my reading of the poem (old song) to produce another reading be combined readings the other which dealt with poetry Badr Shaker Sayyab that have been flirting with sensations and feelings of the recipient and paint a smile of hope in their lips and touches the transparent hearts, broken so all restrictions in search of expression sincere that affects the truth and opens the window to those eyes that light her secluded himself away.

**الخلاصة:** جاءت قراءتنا لقصيدة (أغنية قديمة) لتنتج قراءة أخرى تكون جنباً إلى جنب القراءات الأخرى التي تناولت أشعار بدر شاكر السياب التي ما انفكت تغازل أحاسيس ومشاعر متلقيها وترسم بسمة الأمل في شفاههم وتلامس شفاف القلوب، مكسرة بذلك كل القيود بحثاً عن التعبير الصادق الذي يمس الحقيقة ويفتح النافذة لتلك العيون التي انزوى عنها الضوء بعيداً.

### المقدمة:

درسنا في هذا البحث عدة فقرات على وفق منهج القراءة والتلقي الذي يعد من المناهج النقدية الحديثة التي ظهرت حديثاً، وهو من المناهج السياقية النصية التي تعني بدراسة النص وتكلم عنه الكثير من النقاد وكتب فيه الكثير من المؤلفات التي ظهر فيها المنهج بشكل جلي لا غبار عليه، وهو يعنى بدراسة النص على وفق قراءة المتلقي التي تنتج فهماً معيناً للنص في

ذهنية القارئ، فيعبر عنه بنص آخر، وهذا الفهم لا يعني بالضرورة إنتاج معنى يُتفق عليه، أي لا يشترط في المعنى الناتج عن عملية فهم معينة أن يكون متطابقا مع قصيدة المؤلف أو المعنى الذي يتشكل في ذهنية قارئ آخر؛ لذلك تعددت القراءات واختلفت المعاني طبقا لعمليات الفهم المختلفة والمتفاوتة، وهذا ما يشكل سيرورة فعل القراءة الذي قد يُدرس من قبل باحث آخر يقارن بين هذه القراءات فينتج نصا آخر يعبر عن تلك السيرورة التي اعتمدت على عمليات فهم قد تتقارب وقد تختلف، وهذا يوضح أهمية ما نذهب إليه هنا بخصوص ضرورة احترام النص المقروء المكتوب من خلال فعل القراءة والكتابة، ويؤكد انخراط القارئ أو المتلقي في السيرورة التواصلية الجمالية، ونحن لن نؤرخ لمنهج القراءة والتلقي فهذا المنهج في أيدي النقاد والقراء على حد سواء وقد أخذ حيزا كبيرا في التطبيق في الساحة الأدبية العربية، وعلى هذا يتضح النص بالنسبة إلى عنوان البحث قراءة أخرى بعملية فهم النص، وبالتالي تكون هذه القراءة عبارة عن اقتراح أدبي جديد ناتج عن فعل القراءة عله يضيف شيئا جديدا.

تناولنا في بحثنا هذا محور المكان في قصيدة (أغنية قديمة) ومحور الزمان، وتناولنا في المحور الثالث المرأة، وفي المحور الرابع الانعكاس النفسي الذي توحى به القصيدة، ثم جاءت الخاتمة التي ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

لنبدأ بالقول إننا لا نملك غير القراءة من خلال اللغة أداة أو وسيلة للوصول إلى عقل الآخر؛ لذا لابد من اختيار المنهج المناسب للتلقي والفهم والتحليل ومن هنا تم اختيار منهج القراءة والتلقي من المناهج النقدية الحديثة التي ظهرت حديثا وهو المنهج يعني بدراسة النص، وتكلم عنه الكثير من النقاد الغرب والنقاد العرب على حد سواء، ولا نريد الخوض في الحديث عنه؛ إذ الدراسات قائمة في هذا المجال وقد كتبوا فيه الكثير من الكتابات النقدية، وهذا المنهج هو الطاعني أو المسيطر على الساحة النقدية في الوقت الحالي، وهو من المناهج النقدية التي تعني بدراسة النص على وفق قراءة المتلقي ولكي نوضح أهمية ما نذهب إليه هنا بخصوص ضرورة احترام النص المقروء المكتوب من خلال فعل القراءة والكتابة<sup>(1)</sup>، هذا ما يؤكد انخراط القارئ أو المتلقي في السيرورة التواصلية الجمالية في تكون مقولة بديهية يراهن عليها في فهم اشتغال النصوص الجمالية<sup>(2)</sup>، ونحن لن نؤرخ في منهج القراءة والتلقي؛ إذ هذا المنهج في أيدي النقاد والقراء على حد سواء، وقد أخذ حيزا كبيرا في التطبيق في الساحة النقدية الأدبية ونكتفي بإشارات تشكل سبيلا لصنع الدلالة ونبين دوره في إشارة المعنى وتشكيله، وأيضا ما يؤشر العلاقة بين الأدب والتحليل النفسي وهذه إشكالية ما زالت قائمة إلى يومنا الحاضر<sup>(3)</sup>، وعلى هذا يتضح النص بالنسبة إلى عنوان البحث قراءة أخرى بعملية فهم النص الذي هو (( عمليات امتلاك النص الذي يشترك فيها كل شركاء التواصل ))<sup>(4)</sup>، وبالتالي تكون هذه القراءة عبارة عن اقتراح أدبي جديد ناتج عن فعل القراءة<sup>(5)</sup>.

وبهذا يكون التواصل متحققا من خلال النص الذي سندرسه، وهو سلسلة من الأقوال المرتبطة بعلاقات متماسكة تعبر عن دلالة مباشرة أو غير مباشرة<sup>(6)</sup>، ((وقد تكون هذه الدلالة حرفية أو قد تكون إدراكا عاطفيا انفعاليا))<sup>(7)</sup>، وتكون هذه القراءة مزدوجة الدلالة تصطدم دلالتها بالواقع، وقصيدة الشاعر وهذه القراءة تنتمي إلى التحليل النفسي وموضوعات الشفافية ذات المساس مع الصراعات النفسية العميقة، وهذا ما يجمع بين عالمين أو بعدين للخطاب أحدهما لغوي والآخر غير لغوي، وبهذا تكون قراءتنا لقصيدة ( أغنية قديمة ) ذات معانٍ أوائل وثوان، وهذا ما يقدم لنا العلاقة بين المعنى الحرفي والمجازي في المنطوق الشعري للقصيدة، وهو يشكل دليلا مناسباً يتيح لنا أن نحدد اللمسات الفنية الدلالية على نحو صحيح، وهذه تشكل سمات ترتبط بنفسية الشاعر<sup>(8)</sup>، ونحاول من خلال هذه القراءة التي نقرأ فيها هذا النص من جديد إظهار البعد الدلالي الذي هو نتيجة لمقارنة دلالية تقوم على ما يعطيه النص من علامات سيميائية للخطاب الشعري الذي تتعدد دلالاته بتعدد اتجاهات ومجالات تحليليه؛ ونظرا لما يميل إليه خطاب السيّاب الشعري من رموز اتجهنا إلى تحليل هذه القصيدة من خلال ما يثيره النص من علامات تولد المشاعر عن طريق الاثارة النفسية لا عن التسمية والتصريح هذا ما يدخل القارئ إلى عوالم لا حدود لها<sup>(9)</sup>، ويدفعه إلى الخوض في مضمون النص ويجعله يعتمد على الحس والإسقاط وبخاصة لما كان هم الأدباء وما زال تخطي المؤلف وتجاوز المعلوم ابتغاء صياغة لغة أخرى أو عوالم جديدة ما زالت تتكشف بعد أو هي في حالة تكشف دائم تناقص في وجودها العلم الزائف ويتلبس حالة دلالية تستر بهالة كثيفة من الغموض الذي لا يعود إلى تعقيد البيئة النصية بل إلى خصوصية التجربة، وقد بات لازما على القارئ التزود بثقافة رصينة واسعة وواعية والتأني في القراءة والتثبت عند التأويل والابتعاد عن الحرفية الكلامية التي قد تؤدي إلى الانحراف عن المقصود؛ ذلك لأن النص الأدبي بشكل عام انزياح عن النمط التعبيري المتواضع عليه أو المتعارف عليه، وهو خروج عن سنن اللغوية<sup>(10)</sup>، هذا ما يقودنا إلى فهم النص الذي يتطلب من القارئ المعني بقراءة النصوص فهم النص الذي يبسر له (( عمليات امتلاك النص... ))<sup>(11)</sup>.

تختلف القراءات؛ إذ كل قارئ يبحث ليجد حالته وفق أسباب هو ينشدها وفق شرط منتّم لم يأت من تلك المواقع إلا ليتناص معها لإنتاج نص آخر، وهو بهذا يعيد توازن المعادلة الفنية<sup>(12)</sup>، وعملية تفسير النصوص تتوقف على قراءة المتلقي؛ إذ أن الميزة المهمة في هذه النصوص هي عملية اكتشافها التي تقع على عاتق المتلقي والقصيدة التي يتبناها، وقصيدة ( أغنية قديمة ) فيها مميزات مهمة تتجلى من خلالها مقدرة الشاعر على تأمين الإصغاء إليها، والسيّاب مطلع على ما في تلك القصيدة من أحداث تثير الإحساس لدينا؛ إذ استطاع أن يهبط في أعماق النفس

الإنسانية، ويرمق الحس الباطن، فهذه القصيدة خالية من العناصر الميتة والشعور الناتج عن قراءتها يكون جماليا يثير الإعجاب (13).

والنصوص الأدبية بشكل عام تمثل بؤراً دلالية متنوعة، وهي تمتع ولا تسلم نفسها لأول وهلة إذ الدلالة الأدبية أسرار وكل سر يحيل إلى سر آخر وقد لا يكون السر الأخير سوى لحظة توهم الذات أنها استقرت على دلالة معنية، ولا يبقى النص معبرا عن دلالة واحدة إذ تختلف دلالاته وفقا لسيرورة القراءة ومن متلق لآخر، ومن قارئ إلى آخر وهكذا، إلا أننا لا نتوقف عن البحث عن انسجام النص وتكوين كون نصي منسجم، وتبني دلالة معنية نحتمي بها ونفضلها على باقي الدلالات الأخرى وهذا يعني أننا ننتمي مسارا فعليا معينا لتأويل نص (أغنية قديمة) وهذا ما يجعلنا نفضل مسارا دلاليا معينا ونستثني باقي الدلالات (14)، ومن خلال هذه القراءة نحاول أن نبين الآثار النفسية التي يوضحها النص، وتشكيل العوالم التي يعبر عنها من خلال الغوص في نص (أغنية قديمة) وهذا يتم من خلال الحدس والإسقاط وخاصة إذا ما علمنا أن الأدب كان وما زال يعتمد على تخطي المؤلف وتجاوز المعلوم؛ ابتغاء إنتاج دلالات وعوالم جديدة تكتشف لنا من خلال القراءة التي اعتمدناها، وهنا نشأت أن النص هو في حالة تكشف دائم يتناقض في وجوده والعالم الزائف ويتلبس بحالة دلالية تعددية محاطة بهالة كثيفة من الغموض الذي لا يعود إلى تعقيد البنية النصية فقط بل إلى خصوصية التجربة كذلك (15).

وهذا ما يدل على أن القراءة سيرورة زمنية يتشكل المعنى على وفقها، ويعني أن المعنى يُحدد وفق مفهوم القارئ للنص في المعنى الذي تحدده قراءة معينة يختلف عن المعنى الذي تحدده قراءة أخرى (16)، وكل الذي قلناه سابقا يصب في مقولة (النص على الدوام في وضع من الخفاء) (17).

وكل هذا ولد لدينا الرغبة في معرفة ما يقصده الشاعر من خلال نصه الشعري، ومعرفة الكيفية أو القدرة التي بمستطاع نص أو جنس أن يحتملها داخل أحشائه؛ لتظهر في لحمه نسيجه، ومع هذا التتبع الدقيق لتلك الخيوط في نص السياج لم نفقد الصلة بالوعي والإدراك والبصيرة في تحديد البؤرة الدلالية والزمنية والفنية، فلقد تمت قراءة النص بعيون مركبة؛ فعين تضییء سطح النص ( اللغة كعلامات للكلام) وأخرى في عمق النص ( الأفكار كإفرازات للعقل الواعي) وأخرى تجول في الفضاء الفاصل بيننا وبين النص، ومن هنا امتلکنا خبرة وذخيرة قرائية أدركنا من خلالها أن قصيدة (أغنية قديمة) هي مزيج أبنية شتى في التكوين، أي ان قبلها بناءات مهدت لها في تلك الحقبة في كتابة الشعر الحر، فاللغة تشهد انحرافات فلسفية من خلال أسلوب الرمز والترميز، والتحول إلى لغة مضغوطة تتحكم في دلالاتها معادلات الذاكرة الموهوسة، تلك اللغة المملأ بالصور الرمزية التي أخفت من وراءها الأفكار السياسية والاجتماعية والنفسية.

قصيدة ( أغنية قديمة ) لبدر شاكر السياب

(1)

في المقهى المزدهم النائي, في ذات مساء,  
وعيني تنظر في تعب,  
في الأوجه, والأيدي, الأرجل, الخشب:  
والساعة تهزأ بالصخب  
وتدق سمعت ظلال غناء ....  
اشباح غناء ....  
تتنهد في الحاني, وتدور كإعصار  
بال مصدور,  
يتنفس في كهف هار  
في الظلمة منذ عصور !

(2)

أغنية حب .... أصداء  
تنأى .... وتذوب ..... وترتجف  
كشراع ناء يجلو صورته الماء  
في نصف الليل ..... لدى شاطئ إحدى الحزر ؟  
وانأ أصغي .... وفؤادي يعصره الاسف  
لم يسقط ظل يد القدر  
بين القلبين ؟ لم انتزع الزمن القاسي  
من بين يدي وأنفاسي,  
يمناك ؟ ! وكيف تركتك تبتعدين ... كما  
تتلاشى الغنوة في سمعي .... نغما .... نغما ؟ !  
آه ما اقدم هذا التسجيل الباكي  
والصوت قديم,  
ما زال يولول في الحاكي  
الصوت هنا باق ؛ أما " ذات " الصوت  
القلب الذائب إنشاداً  
والوجه الساهم كالأحلام, فقد عادا  
شبحاً في مملكة الموت ..

لا شيء - هنالك في العدم  
وأنا أصغي .... وغداً سأنام عن النغم  
أصغيت ... فمثل إصغائي  
لي وجه مغنية كالزهرة حسناء  
يتماوج في نبرات الغنوة, كالظل  
في نهر تقلقه الأنسام ؛  
في آخر ساعات الليل,  
يصحو وينام  
أأثور ؟ ! أأصرخ بالأيام ؟ ! وهل يجدي ؟ !  
إننا سنموت  
وسننسى, في قاع اللحد ؟  
حباً يحيا معنا ..... ويموت

#### (4)

ذرات غبار  
تهتز وترقص, في سأم,  
في الجو الجائش بالنغم,  
ذرات غبار !  
الحسنة المعشوقة مثل العشاق  
ذرات غبار  
كم جاء على الموتى - والصوت هنا باق  
ليل .. ونهار !!  
هل ضاقت, مثلي, بالزمن  
تقويما خط على كف  
ذرات غبار (18) ؟!

#### المحور الأول: تجليات المكان في قصيدة (أغنية قديمة)

تبقى النصوص الأدبية رحلة بالزمان والمكان على حد سواء، وزمن النص الأدبي ليس زمن الساعة بأي شكل من الأشكال، ولذلك مكانها ليس المكان الطبيعي، مكان النص الأدبي يتشكل من خلال الكلمات؛ لأنه مكان خيالي له سماته الخاصة وأبعاده المميزة، وله أهمية بالغة في حدود هيكلية النص وهذا ما يقودنا إلى الإشارة إلى الفضاءات التي يتجلى فيها النص: فضاء

زماني، وفضاء مكاني، وفضاء دلالي والفضاء المكاني من بين هذه الفضاءات يصطفي بعداً مكانياً على حقائق مجردة له دور من خلال تصويره في تشكيل الفكر البشري<sup>(19)</sup>.

والمكان وسط مثالي بخارجية أجزائه وفيه يتحدد موضع ومحال إدراكنا، وهو بالتالي يحتوي على مثل الامتدادات والمساحات المتناهية وهو نظام تساوق الأشياء في الوجود ومعيتها الحضورية في تلاحق وممارسة وتجاوز وتقارن<sup>(20)</sup>.

من هنا يشكل الشاعر عالمه من خلال ذاكرته وتجربته، مشكلاً بذلك أماكن مزدوجة بين الواقع والخيال، وبالتالي يكون النص خبراً تواصلياً عبر القراءة بواسطة التصور الذهني والنفسي لدى القارئ، ومن هذا المنطلق تتم عملية التلقي والتحليل بين النص والقارئ، والمكان موجود في مخيلة الشاعر من خلال تجاربه التي يستجمعها ويصوغها منظراً كما هي موجودة في مخيلته ثم يضعها أمام المتلقي<sup>(21)</sup>، وهذا كله يستلزم معرفة الشاعر للبيئة التي ينقلها للقارئ حتى تتحقق عملية الإبداع الحقيقي بين المنتج للنص والقارئ له، فالإحساس بالمكان لدى الشاعر لا بد أن يقابله إحساس آخر لدى القارئ بحيث يجعل القارئ يتحسس الروائح والأصوات كما لو عاشها هو نفسه<sup>(22)</sup>.

والمكان في قصيدة (أغنية قديمة) يتكون من مكانين مغلق ومفتوح يستطيع أن يفسر كثيراً من الدلالات النفسية والاجتماعية وإحالتها إلى واقع مستحيل ونحاول من خلال هذا إظهار العلاقة الجوهرية بين المكان والإنسان؛ إذ تتنوع طبيعة المكان في قصيدة (أغنية قديمة)؛ وذلك لما يمتلكه من خصوصية الهوية، وما يعكسه من بعض الجوانب الشخصية الإنسانية؛ إذ نتمكن التقريب بين شخصية وأخرى ومن مكان إلى آخر وفق الهوية وخاصة إذما علمنا أن الإنسان وليد بيئة التي يعيش فيها ويخضع لعاداتها وتقاليدها وعقائدها، فهو يخضع لما موجود في المكان الذي يعيش فيه، وهو خاضع لسلطة المكان من خلال عملية التأثير والتأثير النفسية والفكرية والاجتماعية، والأدب بنحو عام والشعر بنحو أخص هو نتاج ذلك التأثير والتأثر المتبادل بين الإنسان والمكان ولاسيما الإنسان المبدع، ونستطيع معرفة مدى تأثير السياب بالمكان الذي هو فيه من خلال انفعالاته وهواجسه التي تظهر في أشعاره لاسيما وهو الذي يحس بنوع من الملل والاكتئاب ويتضح هذا بشكل جلي من بداية القصيدة حتى نهايتها<sup>(23)</sup>:

في المقهى المزدهم النائي، في ذات مساء،

وعيني تنظر في تعب،

في الأوجه، والأيدي، الأرجل، والخشب:

المقهى = المكان = الصمت = الحالة النفسية للشاعر

الساعة = الزمان

ومن ذلك<sup>(24)</sup>:

شبحاً في مملكة الموت ..  
لأشياء - هنالك في العدم  
وأنا أصغي .... وغداً سأنام عن النغم  
أصغيت ... فمثل إصغائي  
لي وجه مغنية كالزهرة حسناء  
ولعل من السمات الجوهريّة في تشكيل المكان هنا أن الشاعر استطاع أن يضيفي على  
موجدات المكان حياة نابضة، فاستطاع أن يشخصها، فبدت ناطقة معروفة، ناظرة.  
ومن ذلك أيضاً<sup>(25)</sup>:

والساعة تهزأ بالصخب  
وتدق سمعت ظلال غناء ....  
أشباح غناء ....  
تتنهد في الحاني، وتدور كإعصار  
بال مصدور،  
يتنفس في كهف هار

والمكان (المقهى) المزدهم هنا صار له وقع في النص، فقد ارتبط بالشاعر نفسياً وفكرياً وعكس  
حالته الشعورية كاشفاً لنا عن اللاوعي عند الشاعر، وما يدور في ذهنه من أحاسيس تجاه الحياة  
التي كان يعيشها، ومن المعروف أن الشاعر السياب عاش فقراً موقعاً، وهذا ما جعل معظم شعره  
يتسم باليأس والشكوى والبحث عن الحلم الذي لم يدركه أبداً.

#### المحور الثاني: تجليات الزمن في قصيدة ( أغنية قديمة )

إن الزمن في قصيدة ( أغنية قديمة ) يشكل معنى القصيدة الذي هو بالتالي المعنى  
الداخلي لها وهو يمثل الحياة الإنسانية العميقة والخبرة الذاتية، للفرد وإن لكل عمل فني نمطه  
الزمني الخاص به؛ إذ ما الزمن إلا جوهر البيئة النفسية وأساس تشكيلها<sup>(26)</sup>، والزمن عنصر مهم  
في بناء السرد القصصي في القصيدة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يوجد عمل فني بدون  
زمن، وهذا ما يؤشر الزمن صورة للأحداث المتتابعة وفق منظومة لغوية تعتمد على الترتيب  
والتتابع والتواتر، والدلالة الزمنية هي التي تؤثر بشكل ما الواقع المعيش وفق الزمن الواعي أو  
السيكولوجي<sup>(27)</sup>، وهذا ما يجعلنا نقول إن الزمن علامة دالة على مرور الوقائع اليومية وهو إطار  
يجمع بين كل الأحداث ويضيفي عليها صفة الانتظار؛ لذلك يمثل عنصراً مهماً في العمل الفني  
والتشويق والإيقاع والاستمرار؛ لأنه هيكل تشاد عليه الأعمال الفنية<sup>(28)</sup>، وهذا ما يجعله تصوراً  
ضرورياً يشكل أساساً لجميع الحدوس، والزمان والمكان يشكلان ركيزتي العالم الإنساني  
العقلاني<sup>(29)</sup>.

والزمن في قصيدة (أغنية قديمة) جاء متعددًا بوصفه بنية هرمية متصاعدة الأحداث تتخذ إشكالا فنية جاء الزمن فيها مفتوحا وغير خاضع لحدود معينة، وهو يحاكي الماضي والحاضر ويستشرف المستقبل ويعرض الأحداث من خلال التسلسل الزمني النازل من المضارع إلى الماضي، والصاعد من الحاضر إلى المستقبل من خلال التلاعب بالزمن متمثلا بالاسترجاع والاستباق، ورغد المتلقي برؤية شاملة وتصورا كاملا لجريان الزمن عاموديا وأفقيا الأمر الذي يجعل القراءات متعددة ومستمرة، وفي نص السياب الشعري الزمن سرمدى لانهاية له؛ لأن الأثر الأدبي في نصه يحتفظ بقيمه الفكرية والنفسية والفنية ويستحوذ حتى على زمن المنشئ ويكون لذاته الهيمنة والسلطة على الزمن؛ وهذه حجة مقنعة يبتكرها القارئ لتريحه من عبء الانتظار، وإن هذه النصوص الشعرية للسياب قد هزت الأوساط الأدبية والنقدية على حد سواء في العصر الحديث داخل العراق وخارجه، ولا يزال النقاد والدارسون يجتهدون في قراءة أشعاره وتأويلها بغية الكشف عن خصوصيتها الأسلوبية والمعنوية والفنية وهذه واحدة - إن أصبنا - من حسنات البحث، وليس في هذه القراءة مخالفة للمألوف؛ لأننا نرى أن الكثير من الدراسات السابقة لشعر السياب قدمت لنا مفاتيح للدخول إلى صرح المتن الشعري السيابي باعتبار تلك الدراسات أول من فضت بكاراة تلك النصوص، متيحة لنا السبيل للدخول إلى البؤر المظلمة والمضاعة بصورة تعين على رؤية النص كبناء من الداخل.

ومن ذلك<sup>(30)</sup>:

آه ما أقدم هذا التسجيل الباكي

والصوت قديم

مازال يولول في الحاكي

الصوت هنا باق، " ذات " الصوت

القلب الذائب انشادا

والوجه الساهم كالأحلام فقد عادا

الزمن الماضي يسترجعه الشاعر لإشباع ذاكرته المتعبة وكل هذا من خلال تحفيز الذاكرة لكي يعيش شاعرنا في تلك الأصوات المشحونة بصوت الفجيعة والحزن المتجذر في ذاكرته التي لا تنفك عن استثارة تلك الصور والأصوات لتجعل صاحبها يدور في فلك الماضي.

ومن ذلك<sup>(31)</sup>:

أغنية حب .... أصداء

فتأني ... وتذوب .... وترتجف

كشراع ناء يجلو صورته الماء

في نصف الليل .... لدى شاطئ إحدى الجزر...

يستمر السياب في صراعه مع زمنه النفسي القاتل وهو دائما في حالة إصغاء لذاته ولنفسه؛ لأن هذا الزمن لا يمكن معرفته إلا من خلال ذات الشاعر تلك الذات التي مزقتها الماضي وهو يطاردها في كل مكان، ويحدد الشاعر زمن ولادة ذلك الزمن الميت القاتل ( نصف الليل).

وأنا أصغي .... وفؤادي يعصره الأسف:

لم يسقط ظل يد القدر

بين القلبين ؟! لم أنتزع الزمن القاسي

من بين يدي وأنفاسي،

يمناك ؟! وكيف تركتك تبتعدين .... كما

تتلاشى الغنوة في سمعي ..... نغماً ..... نغماً ؟!(32)

إذ يبقى الشاعر وحيدا يصارع نفسه وذكرياته حتى يتحول الزمن بتأثيراته وتقلباته إلى شيء يشبه الحالة المستعصية عند الشاعر؛ إذ يطبق على أنفاسه بقسوته المتزايدة (لم أنتزع الزمن القاسي من بين يدي وأنفاسي)، ويعتمد السياب في قصيدة على الاسترجاع عن طريق تحفيز الذاكرة واستثارة كوامنها من خلال الأصوات التي تنخر في قلبه (( وتعتمد هذه التقانة بصورة أساسية على فاعلية الذاكرة، إذ تعمل بأقصى طاقتها في جلب الواقعة الماضية واستدراجها في اللحظة الزمنية المناسبة)) (33)، (أه ما أقدم هذا التسجيل الباكي - والصوت قديم...) إذ ينصت الشاعر إلى أسطوانة تسجيل في إحدى المقاهي فيذهب به هذا الصوت بعيدا عن الحاضر الماضي ليتذكر أياما قد تلاشت في زحمة الذكريات، ومن هنا يحاول الشاعر الهرب من الحاضر إلى المستقبل من التشاؤم والاكتئاب عن طريق تقنية الاستباق ((ومن هنا كان التوجه الزمني لهذه التقنية معاكسا لتوجه تقنية الاسترجاع... يقفز إلى الإمام متخطيا اللحظة التي توصل إليها لاستقدام أحداث ما زالت في حكم المجهول)) (34):

إنا سنموت

وسننسى في قاع اللحد

حبا يحيا معنا ويموت... (35)

يدرك الشاعر أن الحياة مهما كانت طويلة ستنتهي ويبقى الحب يعبر عن الاستمرارية في الوجود بعد الموت.

### المحور الثالث: صورة المرأة في قصيدة (أغنية قديمة)

عالجت الكثير من الدراسات قضية المرأة ولاسيما المرأة المعاصرة وفق أطروحة منهجية تعكس توجهها حضاريا للدارسين في سبيل وضع أسس نظرية والسياب من بين الذين رسموا صورة فنية للمرأة في نتاجه الشعري، وتطرق إلى المحيط النفسي والاجتماعي من خلال التفاعل

الداخلي والخارجي فوطن قدرته الإبداعية من خلال رصده للمرأة، ورصده لحركة المجتمع في مختلف الظروف فوقف عند المرأة بشكل عام والحبوبة بشكل خاص وجعل منها نصاً مفتوحاً على قراءات تتحمل التأويل بحسب مستوى القراءة التي تنطلق من القراء في الاعتماد على مرجعية النص في أدبه وسياقه، فالنص الشعري عبارة عن بنية دلالية ضمن بنية نصية في إطار البنيات الثقافية والاجتماعية<sup>(36)</sup>.

وللمرأة نصيب وافر في الشعر العربي الحديث وهي كالوردة تحيط بها الأشواك وهي من يعيد للعالم شبابه وللطبيعة بهاءها وسحرها وندواتها، والشاعر عادة يميل إلى الارتفاع بالمرأة فوق المادة<sup>(37)</sup>، فهو لم يرها جسداً حاراً فقط بل نسمة حلوة وأغنية طاهرة وهمسات ناعمة، فهو يرسم صورتها من خفقات قلبه ورفيف عينه فيعكسها نصاً قوياً مؤشراً بذلك حضورها المميز بوصفها ذاتاً فاعلة محفزة للخطاب الشعري من خلال فعل الرد فكان حضورها في قصيدة بدر شاكر السياب وجه مغنية كالزهرة الحسنة<sup>(38)</sup> :

لي وجه مغنية كالزهرة حسنة

يتماوج في نبرات الغنوة، كظل

في نهر تقلقه الأنسام

والمرأة بوجه عام من أهم منابع الإبداع الخالدة فهي مصدر إلهام روحي لدى كل المبدعين، وفي قصيدة بدر شاكر السياب استغرقت المرأة حيزاً كبيراً، وهي في كثير من النصوص مثلت معادلاً موضوعياً للحب؛ لأنها مثلت الخصوبة والنماء فكانت رمزا للأرض التي هي مصدر للخصوبة والنماء ومن ذلك:<sup>(39)</sup>

ذرات غبار

تهتز وترقص، في سأم

في الجو الجائش بالنغم

ذرات غبار!

الحسنة المعشوقة مثل العشاق

ذرات غبار

والشاعر يضيف صفات العطاء والمحبة والألفة على المرأة التي يوظفها رمزا معادلاً للوطن الذي بهذه الصفات يوضح وفاءه وإخلاصه له، وهو هنا لا يقصد المرأة كروح وجسد في هذا التوظيف، بل هو وحي إلى القارئ المتلقي الوطن الذي استغرق كيانه وإحساسه وهو يمثل تفاعل الشاعر مع البيئة المحيطة به من أشخاص وحوادث، فيعبر عن القيم السياسية التي يؤمن بها ويتجاوز أشكال الرمز الفني اليسير في مستواه، وهذا ما يكشف عن قدرة طيبة لديه في مجال التوظيف الفني ومعالجة الرموز، وإحكام الصنعة والتجويد فيها وفي هذا النص تتأى الدلالة

الشمولية عن كونها مجرد شوق بين حبيبين صدفه، إنما يحيل إلى حب الثوار لوطنهم وهذا ما يكشفه بدر شاكر السياب :

مثل العشاق

ذرات غبار

كم جاء على الموتى .... والصوت هنا باق

ليل ..... ونهار !!

هل ضاقت، مثلي، بالزمن

تقوياً خط على كف

ذرات غبار<sup>(40)</sup>

يستثمر الشاعر الرمز إلى أقصى دلالاته في السابق؛ إذ يحول السياب تلك الأفكار القديمة التي كان يؤمن بها إلى امرأة حسناء تتهاوى إليها قلوب الرجال، ومن خلال هذا الجو الصاخب بالغناء والنغم وتلك الأغنية التي يتردد صداها في أرجاء المقهى، يتساءل الشاعر عن مصير الذين ماتوا؟ وكيف أن الحياة مازالت مستمرة؟ وكأنما الموت جزء من ديمومة الحياة (كم جاء على الموتى ... والصوت هنا باق).

#### المحور الرابع: الانعكاس النفسي في قصيدة (أغنية قديمة)

نكاد نجزم أن الأدب برمته وبنحو عام والشعر بنحو خاص هو نتاج حالة نفسية أو رغبة في إعادة صياغة الحياة والواقع من جديد وحسب يريد المبدع، وبالتالي فالنص الشعري هو عبارة عن متواليات غير منتهية من الرموز والدلالات النفسية والفكرية، (( ومما لاشك فيه أن العنصر النفسي أصيل في الأدب؛ فالأدب جوهره تجربة شعورية، وهو استجابة لمؤثرات نفسية معينة))<sup>(41)</sup>، ومن هذا المنطلق لابد أن نعرف أن الشاعر يتأثر بالبيئة المحيطة به ويؤثر بها ولاسيما من الجانب النفسي، وهذا التأثير يجعله في حالة مستمرة من التحول والنشاط الذهني والفكري<sup>(42)</sup>.

ويؤكد الكثير من الكتاب والنقاد على أن الإبداع الأدبي هو نشاط نفسي ورغبات مكبوتة في نفسية المبدع، ومن هؤلاء الناقد المصري ( مصري عبد الحميد حنورة) في كتابه (الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية) إذ يقول (( إن عملية الإبداع هي نشاط نفسي، والنشاط النفسي على نحو ما يذهب إلى ذلك (جون اكز) هو مجموعة من الظواهر السلوكية التي تصدر عن الفرد (الإنسان) كردود فعل واستجابات على منبهات تصدر إليه من البيئة، سواء كانت بيئة داخلية أو خارجية))<sup>(43)</sup>.

من خلال عنوان القصيدة (أغنية قديمة) نلاحظ أن الشاعر وقع تحت سلطة الماضي التي أرجعت إليه الذكريات وهو جالس في ذلك المقهى ونجد أن اللحظة الزمكانية تركت في نفسه حالات نفسية، وحنينا إلى الماضي:

في المقهى المزدهم النائي في ذات مساء  
وعيني تنظر في تعب  
في الأوجه في الأيدي والأرجل والخشب  
الساعة تهزأ بالصخب<sup>(44)</sup>

لم يكتف الشاعر بهذا المكان للبوح عما يجول بداخله من هواجس بل راح بخياله إلى أماكن بعيدة واصفا حالته النفسية ومدى التأثيرات الزمنية عليه ولاسيما الزمن النفسي، ومن ذلك<sup>(45)</sup>:

أأثور؟! أصرخ بالأيام؟! وهل يجدي؟!

يبقى الشاعر يعاني من سطوة الزمن والمكان نفسيا حتى وصل إلى مرحلة من اليأس من كل الذي يحيط به.

في ختام هذا البحث نجد أن منهج القراءة والتلقي من أكثر المناهج النقدية صلاحية لمعالجة النصوص الأدبية، وهو الذي يبرز عملية الفهم الحاصل لدى المتلقي، وهو الذي يزج بتلك العملية ليتلقاها متلقي آخر يؤسس في ضوئها عملية فهم جديدة، سواء أكانت صحيحة أم خاطئة، ومن خلال النص الشعري نجد أن الشاعر منشطر الذات يعاني من حالات نفسية يحاول ردمها أما بالعودة إلى الماضي، أو بالهروب إلى المستقبل؛ لهذا أعطى قضية الموت بعدا آخر يتمثل بالخلاص من هذه الحياة والبحث عن الحب ما بعد الموت، وارتبط المكان والزمان بنفسية الشاعر ارتباطا وثيقا معبرا عن دلالة نفسية معبرة عن الشخصية الناشئة فيه، وكل من الزمان والمكان يوضحان الأرضية التي تقوم عليها حقائق معينة، وإذا تأملنا النص جيدا وجدناه مجموعة وقائع منتظمة أو مبنوثة في الزمان والمكان تكتسب طابعا معينا من خلال تواليها في الزمان على نحو معين يعكس جوانبا ترتبط بنفسية المبدع، وإزاء هذا نجد الزمن حقيقة مطلقة تكتسب صفاتها المحسوسة من خلال مرور الوقائع في النصوص التي تدرس، ولهذا فكل من المكان والزمان لا يكتسب خصوصية إلا من خلال التداخل مع الآخر، فالزمان مدى يبين الأفعال، والمكان حيز لفعل الزمن، وهكذا تنتقل خصائص الأول إلى الثاني وبالعكس بحيث لا يمكن دراسة أحدهما بمعزل عن الآخر، وجاء هذا التنقل بنائيا في غاية الإحكام والدقة في صياغة النص الشعري بشكل نموذجي أمثل.

ظهرت المرأة في هذه القصيدة معلما جماليا حضاريا تخاطب الجمال والحضارة وتقلت من كل قيود الحس الصريح في إطار الأنوثة الخاضعة لل رغبات والاشتهاءات في المجتمعات

الشرقية لذلك أصبحت رمزا للحياة والأناقة المستحبة في الشعوب الشرقية، أما الدلالة النفسية فكانت حاضرة في جميع الأبيات الشعرية التي تعبر عن نفسية الشاعر المتعطشة لأشياء كثيرة غزاها الحرمان؛ لذلك أصبحت تبحث عن الحب فيما بعد الموت أي في وجود آخر غير الوجود الذي يعاني فيه الكثير من المتاعب، وفي الختام هذا ما بذلنا من جهد في هذه القراءة والله ولي التوفيق.

#### الهوامش

- (1) ينظر: في الطريق إلى النص: 14 .
- (2) ينظر: حدود التأويل قراءة في مشروع امبرتو ايكو: 29 .
- (3) الرواية والتحليل النص قراءة من منظور التحليل النفسي: 11 .
- (4) مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص: 83 .
- (5) ينظر حدود التأويل: 78 .
- (6) ينظر المغامر الجمالية لنص الروائي: 8 .
- (7) مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر: 146 .
- (8) ينظر مدخل إلى علم النفس المعاصر: 17 .
- (9) ينظر مدخل إلى علم النفس مشكلات بناء النص: 58 .
- (10) ينظر المغامرة الجمالية النص: 209 .
- (11) ينظر إلى علم النص مشكلات بناء النص: 83 .
- (12) ينظر ما تخفيه القراءة: 173 .
- (13) ينظر: م. ن: 173 .
- (14) ينظر شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، 375 .
- (15) ينظر شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، 344 .
- (16) مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، 278 .
- (17) ينظر مدخل إلى علم النص (تشكلات بناء النص):
- (18) ديوان بدر شاكر السياب: 70 - 74 .
- (19) ينظر فرضية الإنسان في الفلسفة وعلم النفس من عهد اليوناني إلى العهد المعاصر: 239 .
- (20) ينظر جماليات التشكيل الروائي: 229 .
- (21) ينظر: صنعة الرواية: 200 .
- (22) ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: 184 .
- (23) ديوان بدر شاكر السياب: 70 .
- (24) م ن: 72 .
- (25) م. ن: 70 .
- (26) ينظر مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص: 76 .
- (27) ينظر جماليات التشكيل الروائي: 173 .

(28) ينظر الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا : 73.

(29) ينظر الرواية والتحليل النفسي : 11.

(30) ديوان بدر شاكر السياب: 72.

(31) م. ن: 71.

(32) م. ن: 71

(33) جماليات التشكيل الروائي: 208.

(34) تقنيات السرد وآليات تشكله الفني، قراءة نقدية: 70.

(35) ديوان بدر شاكر السياب: 73.

(36) قراءة في الكتابات الأنثوية: 86.

(37) ينظر في الطريق إلى النص: 133.

(38) ديوان بدر شاكر السياب: 72.

(39) م. ن: 73.

(40) م. ن: 72.

(41) مناهج النقد الأدبي: 54.

(42) المدخل إلى علم النفس المعاصر: 17.

(43) الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية: 12.

(44) ديوان بدر شاكر السياب: 70.

(45) م. ن: 74.

#### المصادر والمراجع

- الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية، مصري عبد الحميد حنورة، مصطفى سوييف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1- 1979.

- بدر شاكر السياب <http://ar.m.wikipedia.org/wiki/>

- تقنيات السرد وآليات تشكله الفني ( قراءة نقدية) نفلة حسن أحمد العزي، دار غيداء - عمان/ ط1- 2011.

- جماليات التشكيل الروائي ، الدكتور محمد صابر عبيد، والدكتورة سوسن البياتي . دار الحوار - سورية/ ط1-2008.

- حدود التأويل قراءة في مشروع امبرتو إيكو النقدي ، وحيد بو عزيز ، الدار العربية - ط1- 2008 .

- ديوان بدر شاكر السياب ، دار العودة بيروت، د.ط- 2000 .

- الرواية والتحليل النصي . قراءات من منظور التحليل النفسي ، حسن المودن ، الدار العربية للعلوم ناشرون، الاختلاف، ط1- 2009.

- شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة ، الدكتور فتحي بو خالفة ، عالم الكتب الحديث ، الجزائر ، ط1- 2010.

- صنعة الرواية، بيرسي لوبوك، ترجمة عبد الستار جواد، دار الرشيد- بغداد، د. ط- 1981.

- فرضية الإنسان في الفلسفة وعلم النفس ، من العهد اليوناني إلى العهد المعاصر ، الدكتور محمد زيعور، دار الهادي - بيروت، ط1- 2009 .

- الفضاء الروائي عند جبر إبراهيم جبر ، الدكتور إبراهيم جنداري ، الشؤون الثقافية العامة - بغداد ط1 - 2010 .
- في الطريق إلى النص ، الدكتور عبد الواسع الحميري، المؤسسة الجامعية بيروت، ط1- 2008..
- قراءة في الكتابات الأنثوية الرواية والقصة القصيرة المصرية ، عبد الرحمن ابو عون ، الهيئة المصرية العامة الكتاب - القاهرة، د.ط، د.ت .
- ما تخفيه القراء . دراسات في الرواية والقصة القصيرة ، ياسين النصير ، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان - الرياض، ط1- 2008.
- مدخل إلى علم النص ، مشكلات بناء النص ، زستيلاف واورزينال ترجمه وعلق عليه أ.د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، د.ط/ د.ت. .
- المدخل الى علم النفس المعاصر ، الدكتور سليمان عبد الواحد يونس ابراهيم دكتوراه علم النفس التربوي ، كلية التربية ، جامعة قناة السويس ، عضو الجمعية المصرية للدراسات النفسية ، عضو الجمعية المصرية لعلم المراهقة ، عضو رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية ، عضو الجمعية العالمية للصحة النفسية ، القاهرة ، ت ، 2010 ، د.ط .
- مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر ، ، محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الانتشار - بيروت، ط1- 2008 .
- المغامر الجمالية للنص الروائي، أ.د. محمد صابر أعبيد ، عالم الكتب الحديث - الأردن ، ط1- 2010 .
- مناهج النقد الأدبي الحديث ( رؤية إسلامية) وليد قصاب، دار الفكر العربي - ط1- 2007.